الهجرة النبوية واليهود في الجزيرة العربية

لسماحة الاستاذ الشيخ ابراهيم القطان
(عضو المجمع)

١ـ جاء الاسلام فوجد امما قوية مختلفة قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح ، وتسخير الناس بالظلم والطغيان والجبروت ، وكانت على عقائد خرافية تتفانى في الذّب عنها . فاتى بدين قويم ، فيه ارقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على احكم الاصول الادبية .

والعالم كله يعلم ان العرب كانوا على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبائل متفرقة ، واوزاعا متنافرة ، لا يوحد كلمتهم دين ولا تضمهم جامعة . وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وَتَرات قائمة على اعتبارات جاهلية ، يعتبرون هذا كله من مفاخرهم ، لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكونوا قادرين على النظر او التفكير في تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الى العالم بالهدى ودين الحق ، انكروه غاية الانكار ، وثاروا عليه ثورة عارمة ؛ فرموا الرسول الكريم بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، ورموه بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُم ، وَقَالَ

الكافِرُونَ هٰـذَا سَاحِرٌ كَذَّاب ، أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً ، إِنَّ هٰـذَا لَشَيْءٌ عُجَاب . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُم إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُـرَادُ ، ما سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّـةِ الْآخِرَةِ ، إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِـلاق » (١) .

وقال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِين ، وما آتَيْنَاهُم مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، ومـا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِـنْ نَذِير » (٢) .

ومكث الرسول الكريم في هذه البيئة المستعصية ، يحاول ان يهديهم بالقرآن الكريم ، تارة يرغبهم ، ويرهبهم تارة اخرى . ويعدهم ويوعدهم،ويضرب لهـم الامثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلاّ عتوّاً واستكباراً وعناداً ، ونفوراً مـن الحق وإنكاراً . وقد مكث فيهم ثلاث عشرة سنة لم يترك خلالها وسيلة الا اتّبعها ، وهم مصرّون علـى العناد ، يؤذونه شر ايذاء ويؤذون اصحابه ، ويعذّبون المستضعفين منهـم أشد العذاب ؛ فصبر على ذلك كله ، وهو يدعو لهم ويقول : « اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون » . ثم أمر اصحابه بالهجرة ، فهاجر بعضهم الى الحبشـة .

ولما لم يجد من قومه استجابة ، عرض نفسـه على قبائل العرب التي كانت تحج الى مكة ، فلم يستجيبوا له ، ولم يأبهوا لدعوته .

وفي موسم مـن مواسم الحج قابـل بعضـا من رجال الأوس والخزرج من سكان يثرب ، فقبلوا دعوته ، ووعدوه بعرض أمره

---

(١) سورة (ص) ، الآيات ٤ ــ ٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٤٣ ، ٤٤ .

على قومهم ، وقد كان اليهود بيثرب يقولون لهـم اذا اختلفوا معهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه ، نتبعـه فنقتلكم معه . فلما كلم النبي ، عليـه الصّلاة والسلام ، أولئك النفر ودعاهم الى اللـه ، نظر بعضهم الى بعض وقالـوا : والله انه للنبي الذي تواعدكم به يهود ، فـلا يسبقنّكم اليه .

وعاد هؤلاء النفر الى المدينة ، ومن بينهم اثنان من بني النجار ، من اخوال عبـد المطلب ، فذكروا لقومهم اسلامهم ، فألّفوا قلوبا منشرحة ، ونفوسا متلهفة لدين يجعلهم موحّدين كاليهود ، بل يجعلهم خيرا منهم ؛ فلم تبق دار من دور الأوس والخزرج جميعا الا فيها ذكر محمد ، عليـه الصلاة والسلام .

فلما ابتدار العام ، وعادت الأشهر الحُرُم ، وعاد الحج لمكة ، أتى الموسم اثنا عشر رجلا من أهل يثرب ، فالتقوا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالعقبة في منى ، فبايعوه بيعة العقبة الأولى .

وبعث النبي الكريم معهم مصعب بـن عمير يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين،فازداد الاسلام انتشارا . واقام مصعب بين المسلمين من الأوس والخزرج يعلّمهم دينهم . ولما كان الموسم للحج ، حج عدد كبـير من أهل يثرب ، وكان مـن بينهم خمسة وسبعون مسلما : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . والتقوا مع الرسول الكريم عند العقبة ، وكان معه عمـه العباس بن عبد المطلب ، فبايعوا النبي على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم .

٢ ـ وبعد هـذه البيعة أمر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، اصحابه أن يهاجروا الى المدينة . وبدا المسلمون يهاجرون فرادى أو نفرا

قليلا حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم . وحاول رجال من قريش ان يردوا من استطاعوا رده من المهاجرين الى مكة ، ليفتنوه عن دينه ، او ليعذبوه وينكلوا به . وتتابعت مع كل هذا هجرة المسلمين الى يثرب ، والنبي ، عليه الصلاة والسلام ، مقيم ، ولا يعرف احد هل اعتزم الاقامة ام قرر الهجرة . وبعد ذلك هاجر الى المدينة هو وابو بكر ، ووصلا الى المدينة بعد رحلة مضنية ، حفّتها اخطار كثيرة ، وكان الاسلام قد انتشر في المدينة .

وصل النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، الى المدينة يوم الجمعة ، فصلّاها بالمدينة . واقبل عليه المسلمون بيثرب ، وكل يحاول ان يراه وان يقترب منه ، وان يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به ولم يره من قبل ، والذي امتلأت مع ذلك نفسه بحبّه والايمان برسالته . وركب ناقته والقى لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب ، والمسلمون من حولها في حفل حافل يُخلون لها طريقها ، وسائر اهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون الى هذه الحياة الجديدة التي دَبَّت في مدينتهم ، والى هذا القادم العظيم الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج ، الذين كانوا من قبل اعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر احدهم ما أعدَّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة يبقيان على الزمن .

واول شيء عمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة هو بناء مسجده ومسكنه الى جوار المسجد ؛ وكان المسجد هو مكان العبادة ، وهو المدرسة ؛ يجتمع فيه المسلمون لتلقي تعاليم الاسلام ، والتفقه في الدين ، وهو النادي يجتمعون فيه ، ويتباحثون في ما يواجههم من حوادث وامور هامة .

٣ ـ وبدأ النبي بتأسيس الدولة الجديدة ، وكان أول عمل بدأ به هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ؛ فكان بعض الانصار يقاسم أخاه من المهاجرين ماله ، وبعضهم يقدّم ما يستطيع من المعونة لاخيه المهاجري . وهكذا تكونت اخوّة بينهم لم يوجد لها مثيل في تاريخ البشرية .

وكانت مهمة الرسول الكريم شاقة وصعبة ؛ فقد كان في المدينة ثلاث فئات من السكان هم : المسلمون من المهاجرين ، والانصار من الاوس والخزرج ، واليهود ، وهم قبائل مختلفة ، ولهم نفوذ كبير ووزن في السياسة والاقتصاد والقتال ، فكان لا بد من تجنب شرهم ، وكسب صداقتهم لمواجهة ما يتوقعه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، من عدوان قريش ومن يحالفهم من العرب الذين لم يدخلوا الاسلام . والفئة الثالثة لم تحدد موقفها ، فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم كاذبون منافقون ، يظهرون خلاف ما يُسِرّون . وقد بيّن القرآن الكريم هذه الفئات الثلاث في أول سورة البقرة ، بقوله تعالى : « الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ؛ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » . هذه الفئة الاولى وهم المسلمون .

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ، لَا يُؤْمِنُونَ ؛ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ، وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . وهذه هي الفئة الثانية وهم اليهود .

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ ، وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ؛ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ؛ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ؛ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ ؛ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ؛ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ؛ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ؛ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ؛ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ؛ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ؛ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ؛ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّـهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ » . وهذه هي الفئة الثالثة وهم المنافقون ، وشياطينهم اليهود .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في اربع آيات ، والكافرين من اليهود في آيتين ، ووصف المنافقين في ثلاث عشرة آية .

٤ ــ فكان على الرسول الكريم ان يُنَظِّم العلاقات بين المسلمين واليهود ، فعقد اول معاهدة دولية بين اليهود والمسلمين ؛ وهي من انفس العقود الدولية وامتعها واحقّها بالنظر والتقدير من الناس كافة ، واوْلاها بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفيهم من أهل الأديان الاخرى . وكان في عقدها ابتداء الدولة

الاسلامية ، وابتداءُ الاعتراف بالمسلمين دولةً مستقلةً لها كيانها واصولهـــا .

وهذه الوثيقة هي عقد حُسْنِ جوار وتحالفٍ دفاعي ، وتعاونٍ ضد العدوان ؛ يتكافل الموقعون عليهـــا على نصرة بعضهم بعضا ، وحماية عقائدهم ممن يريد اوطانهم أو جماعتهم بسوء ؛ وهـــم بذلك يكفلون حرية العقيدة،وحرية الدعوة لأعضاء الميثاق علـــى تباين معتقداتهم . وهذا هـــو الميثاق العظيم :

بســـم اللـــه الرحمٰـــن الرحيـــم

١ ـــ هذا كتـــاب من محمد النبي « رسول اللـــه » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، واهل يثرب ومـــن تبعهم فلحق بهم وجاهـــد معهـــم .

٢ ـــ انهم امـــة واحدة من دون الناس .

٣ ـــ المهاجرون من قريش على رَبْعَتهم « امرهم الذي كانوا عليه » يتعاقلون بينهم ، وهم يفـــدون عانيهم (اسيرهم) بالمعروف والقسط بيـــن المؤمنين .

٤ ـــ وبنو عوف على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ـــ وبنو الحارث مـــن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفـــدي عانيها بالمعروف والقسط بيـــن المؤمنيـــــن .

٦ ـــ وبنو ساعدة على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ــ وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ــ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ــ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ــ وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ــ وبنو الأوس على ربعتهم الأولى يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ــ وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا (وهو من اثقله الدين) ان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وان لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ــ وأن المؤمنين المتّقين ايديهم على كل من بغى منهم او ابتغى دَسِيعة ظلم (طلب دفعا على سبيل الظلم ، أو ابتغى عطية على سبيل الظلم) او اثماً او عدواناً او فساداً بين المؤمنين ، وأن ايديهم عليه جميعا ولو كان وَلَدَ احدِهم .

١٤ــ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ــ وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم اولياء بعض دون الناس .

١٦ــ وأنه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

١٧ــ وأن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .

١٨ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا . « يعني يكون الغزو بينهم مناوبة،يعقب بعضهم بعضا فيه » .

١٩ــ وأن المؤمنين يبيءُ بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . ــ باء فلان بفلان : قتل به ــ (يعني أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماءهم) .

٢٠ــ وأن المؤمنين المتقين على احسن هدى واقومه ؛ وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ــ وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قَوَدٌ به ، إلاّ ان يرضى وليّ المقتول بالعقل ؛ وان المؤمنين عليه كافة ، لا يحل لهم الا قيام عليه .

(اعتبطه : قتله بلا جناية او جريرة توجب قتله . قَوَد به : فان القاتل يقتل به) .

٢٢ــ وأنه لا يحلّ لمؤمن أقَرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا او يؤويه ؛ وأنه من نصره او آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

(المحدث هنا : الجاني ، المجرم . لا يقبل منه صرف ولا عدل : والصرف : التوبة . والعدل : الفدية) .

٢٣ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مَرَدَّه الى الله والى محمد .

٢٤ــ وأن اليهود يُنْفِقُون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ــ وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ،مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم او اثم فانه لا يُوتِغُ الا نفسه واهل بيته .

(يُوتِغ : يهلك ويفسد) .

٢٦ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ــ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ــ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ــ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١ــ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلاّ من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته .

٣٢ــ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣ــ وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وأنّ البرّ دون الاثم .

٣٤ــ وان موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥ــ وان بطانة يهود كأنفسهم . (بطانة الرجل : اهله وخاصته) .

٣٦ــ وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ؛ وانه لا يُتحجَّر على ثأر جرح ؛ وانه من فتك فبنفسه واهل بيته ، الا من ظلم ، وان لله على ابر هذا . (لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثأر) .

٣٧ــ وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وان بينهم النصر على من حارب أهل هــذه الصحيفة ؛ وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ؛ وانه لا يأثم امرؤ بحليفــه ؛ وان النصــر للمظلــوم .

٣٨ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ــ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٤٠ــ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ــ وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها .

٤٢ــ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى اللــه والى محمد رسول الله ؛ وأن الله على أتقى ما في هــذه الصحيفة وابره .

٤٣ــ وأنه لا تجــار قريش ولا من نصرها .

٤٤ــ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ــ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلــك فانه لهم علــى المؤمنيــن ، الا مــن حارب في الديــن ، على كــل اناس حصتهم مــن جانبهم الذي قبلهم .

٤٦ــ وأن يهود الأوس مواليهم وانفسهم علــى مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة ؛ وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه ؛ وان اللــه على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره .

٤٧ــ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ؛ وأنه مــن خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلاّ من ظلــم وأثم ؛ وأن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله . (« الرسالة الخالدة ، نقلا عن كتاب الوثائق السياسية في العهــد النبوي والخلافة الراشدة » للدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي ، استاذ الحقوق الدولية بجامعة حيدر اباد دكن) .

٥ ــ هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، منذ ألف وأربعمائة سنة ، والتي تقرر حرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحرمة المديـنة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة . وهي فتح جديــد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ؛ ذلك العالم الذي كانت تعبث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يــد الظلم فسادا . ولئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، فانهم ما لبثــوا بعد قليل أن وقّعوا بينهم وبيــن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، صحفا مثلهـــا .

فقد قال ابن هشام في السيرة : ان يهود بني قينقاع كانــوا أول من نقض العهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (جزء ٣ ص ٤٧) . وأيد ذلك ابــن سعد في طبقاته (جزء ٣ ص ٦٨) والمقريزي في امتاع الأسماع ، والطبري في الجزء الثالث من تفسيره . وأصبحت المدينة ومــا وراءها حرما آمنا لأهلها ، عليهم أن ينضحوا عنها ويدفعوا كــل عادية عليها ، وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية . « حياة محمــد لهيكــل » .

وفي هذا الميثاق وضع اساس الدولة الاسلامية ، واصبح المؤمنون رعايا هـذه الدولة علـى اختلاف اجناسهم وعصبياتهم ، اسيادا وموالي ، امة واحدة دون الناس .

هذه الامة تتعاقد في هذه الصحيفة مع امم اخرى من ديانات اخرى ، فينشأ في اول تعاقد لها ميثاق « لجمعية امم » ، اساسه النصر للمظلوم ، والنصـح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وحرمة الاوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره ؛ على ان تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم في الدعوة لدينهم ، مهما تباينت هـذه الاديان . ولقد سبق الاسلام بهذا الميثاق عهد « هيئة الامم » الحديثة باربعة عشر قرنا .

« الرسالة الخالدة » :

فقد ضمنت هـذه المعاهدة لليهود فتح باب الاسلام لمن يرغب منهم فيه ؛ كذلك نصـت على كفالة الحرية الدينية لهم ، كما نصّت عدة بنود اخرى على ان القبائل اليهوديـة تُعَدّ هي وبطونها امة من المؤمنين . وكذلك نص البند الرابع والعشرون على وجوب اشتراك اليهود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب ؛ وحَرَّم نص اخر على المتعاقدين من مسلمين ويهود مناصرة قريش ، وايواء احد منهم ، وقرر البند الثاني والاربعون رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود من اجل اشاعة الأمن والطمانينة في المدينة ، والضرب على ايدي مدبري الفتن . وان اي خلاف ينشأ يُرَدّ الى الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، للبتّ فيه ؛ وقرر البند السابع والاربعون ، وهو الاخـير : ان من ارتكب اثما يوجـب العقوبة عوقب ، وان اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة.« اليهود فـي شبه الجزيـرة ، بتصـرف » .

وقد حققت هذه الوثيقة كثيرا من المكاسب لجميع المتعاقدين ؛ فقد وحّدت المدينة تحت قيادة الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، وقوّت صفوف المسلمين أمام عدوهم قريش ، في الوقت الذي أمنوا فيه جانب اليهود .

٦ ـ بعد تلك المعاهدة سكن المسلمون الى دينهم ، وجعلوا يقيمون فرائض دينهم مجتمعين وفرادى ، لا يخافون أذى ولا يخشون فتنة ؛ وصار اهل يثرب جميعا يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة الاسلام ، مرتلة ترتيلا حسنا بصوت بلال الجميل ، وهكذا انقلبت مخاوف المسلمين امنا ، واصبحت يثرب مدينة الرسول الكريم ؛ وَقَوِيَ الاسلام ، واصبح المسلمون يستمتعون من حرية العقيدة بما قرر الاسلام ، من أن ليس لانسان على انسان سيادة ، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى ، وأن الدين لله وحده ، والعبودية له وحده ؛ والناس امام الله سواسية ، لا يجزون الا بأعمالهم ، « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » (النجم ٣٩) .

وانفسح المجال امام النبي الكريم ليعلن دينه القويم ، وليكون بتصرفاته واخلاقه المثل الاعلى ؛ وبذلك وضع حجر الاساس للحضارة الاسلامية ؛ وحجر الاساس هذا هو الاخاء الانساني ؛ إخاء يجعل المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يصل به هذا الاخاء الى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة .

وهكذا تركت تعاليم الاسلام وخلق النبي الكريم في النفوس اعمق الأثر ، وأقبل الناس افواجا على الاسلام ، وازداد المسلمون في المدينة قوة ، وهنالك بدأ اليهود يفكرون من جديد في موقفهم

من هذا النبي واصحابه ، وبدأت الحـرب الباردة . ودعا الرسول الكريم اليهـود فيمن دعا الى الاسلام ، وخصهم القرآن بقسط كبير من الآيات لانهم اهـل كتاب ، وهم يعلمون من كتبهم صدق رسالته ، وكانوا يعتقدون بظهور نبي منتظر من بني اسرائيل ، وكانوا ينتظرون مجيئه ويسألون اللـه ان يفتح عليهم بهـذا النبي الذي وُعـدوا به على لسان الرسل ، حتى يتبعوه ويقاتلـوا العرب الوثنيين معه ، ويستعيدوا ملك بني اسرائيل في الارض ؛ وكانـوا يقولون للعرب بصراحة : ان اللـه سيبعث النبي المنتظر فيكونون اول من يتبعه ، ثم يقاتلون العرب معـه ، فيكون لهم بسببه النصـر والغلب . ولما لم يأت هـذا النبي من بني اسرائيل ، بـل جاء من العرب اولاد اسماعيل ، عليـه السلام ، حسدوهم ؛ فكفر بـه عامة اليهود ، وآمن منهم نفر قليل بهذا الديـن الجديد ؛ وهذا ما وضحـه القرآن الكريم بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّـا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الكَافِرِينَ » البقرة ٨٩ .

وقوله تعالـى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ؛ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ .

لقد عقـد اليهود مع النبي عهدا ، وكانوا يطمعون في أن يضمّوه الى صفوفهم ، وأن يزدادوا بـه منعة وقوة ؛ ودعاهم النبي الى الاسلام فاستكبروا ؛ وجاملهم ، وكان يزورهم في « مدارسهم » (١) ويجادلونه ، واعرضوا عن دعوته ، ونصبوا لـه العداء ، وانطلقوا بمكرهم يُكذّبونه ، ويؤلبون عليـه العرب ، ولا يدعون سبيلا من

---

(١) مدارسهم : مكان دراستهم وتعليمهم التوراة .

سبل الكيد لـــه ولرسالته الا سلكوه ؛ مع أن الرسول الكريم أمّنهم في عهـــده على حريتهم الدينيـــة ، وطقوسهم ومعابدهم ومدارسهم وأموالهم وحقوقهـــم ، وأبقاهم علـــى محالفاتهم مـــع بطون الاوس والخزرج ، وأوجـــب لهم النصرة والحماية ، مشترطـــا عليهم أن لا يغدروا ، ولا يتجسسوا ، ولا يعينوا عـــدوا ، ولا يمدوا يـــدا بأذى . لكنهم مـــا لبثوا أن تطـــيّروا بقدوم هذا النبي العربـــي ، وغلى الحسد والحقد في قلوبهم ، وأخذوا ينظرون اليـــه بعيون متوجسة حانقة ، تخشى رسوخ قدمـــه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العـــداء الدموي الطويل الذي كـــان بينهم ؛ وكـــان اليهود يستغلونه ويفيدون منـــه ، ويحقّقون لانفسهم كثـــيرا من المصالح والمنافـــع والامتيازات التي كانـــوا يتمتعون بهـــا ، ويجنون ثمراتها ، وفـــي مقدمتها المصالح الاقتصادية ؛ فقد كان لليهود فـــي الحجاز أفضل مـــزارع النخيل التي كانت أهـــم الثروات المستقرة يومئـــذ في المنطقة ، وكانـــوا يعاملون الناس بالربـــا ، ويستعبدونهم ويمتصون دماءهم . « **مكايد يهودية عبـــر التاريخ** » .

تحدثتا صفية بنـــت حُيَيّ بن أخطـــب ، زوجـــة الرسول الكريم ، وكـــان أبوهـــا من أكبر أحبار يهود بني النضير ، تقـــول : كنت أُحَبّ وَلَد ابـــي اليه والى عمي أبي ياسر ، لـــم أَلْقَهما قَط مع ولد لهما الا أخذاني دونـــه . فلما قَدِم رسول اللـــه ، صلى الله عليه وسلم ، المدينـــة ، ونزل بقبـــاء في بني عمرو بـــن عوف ، ذهب اليـــه أبي وعمي في الصباح الباكـــر ، ولم يرجعا حتى كان مـــع غروب الشمس ، فأتيا كالّيـــن كسلانين ساقطيـــن يمشيان الهوينى مـــن التعب .

قالت وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن اخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . هذا الخبر رواه معظم كتب الحديث ؛ وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق : وكان حيي بن اخطب واخوه ابو ياسر بن اخطب من اشد يهود العرب حسدا للرسول الكريم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الاسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما قوله : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ، حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقُّ ؛ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ». البقرة ١٠٩ .

وهذا عبد الله بن سلام ، كان حبرا عالما من كبار احبار اليهود وعلمائهم ، روى قصته البخاري ومسلم ، والامام احمد في مسنده ، وابن هشام في سيرته ، وكثير من المحدثين ، وخلاصتها : لما سمعت برسول الله ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقبه ، فكنت مسرًّا لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم المدينة ؛ فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كَبَّرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خيَّبك الله ! والله لو كنت سمعت بموسى ابن عمران قادما ما زدت ؛ قال : فقلت لها : اي عمة ، هو والله اخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فقالت : أي ابن اخي ، أهو النبي الذي كنا نُخْبَر انه يُبْعث ؟ قال : نعم . قال ، ثم ذهبت الى رسول الله فأسلمت ، ثم رجعت الى اهل بيتي فأمرتهم فاسلموا ، وكتمت اسلامي ؛ ثم جئت رسول الله فقلت له : ان اليهود قوم بُهْت ، يقولون على المرء ما

ليس فيـــه ، واني احب أن تدخلني في بعض بيوتك ، ثـــم تسألهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامي . فادخله الرسول الكريم بعض بيوته ، ونـــادى بعض رؤوس اليهود ، فدخلوا عليه وكلموه . ثـــم قال لهم : أي رجل الحصين بن سلام فيكـــم ؟ ـ وهذا اسمه قبـــل أن يسلم ـ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ؛ قـــال : فلما فرغوا مـــن قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله ، واقبلوا مـــا جاءكم به محمد ؛ فوالله انكم لتعلمون انـــه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا في التوراة باسمـــه وصفته ؛ فاني اشهد انه رسول الله ، واومن به واصدقه واعرفه .

فقالـــوا : كذبت ؛ ثم وقعوا بي فقالوا : شَرُّنا وابـــن شَرِّنا ؛ فقلت لرسول اللـــه : الم اخبرك يا رسول الله انهم قوم بُهْت ، اهل غدر وكذب وفجور ؟ .

٧ ـــ ولمـــا اخذت شوكة المسلمين تشتد ، اخذ اليهـــود يدبرون المكائد للرسول الكريم واصحابه . وما اسرع مـــا اجتمع اليهم من بقي على الشرك مـــن الأوس والخزرج ، ومـــن اسلم منهم نفاقا ، وعلـــى راسهم عبد الله بن ابي ، راس المنافقين . وبدأت حرب جـــدل بين النبي الكريم واليهود اشد لددا واكبر مكرا من حـــرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة ؛ ففـــي هذه الحرب البـــاردة تعاونت الدسيســـة والنفاق والعلـــم بأخبار السابقين ، اقامتها اليهـــود جميعا ، يهاجمون بها محمدا ورسالته واصحابه مـــن المهاجرين والانصار ، ونصبوا العـــداء للمؤمنين جميعا بغيـــاً وضغناً وحسداً من عنـــد انفسهم ؛ وحمـــل لـــواء ذلك العداء احبارهم ا فاخذوا يدبرون مؤامرات عديدة لصد العـــرب عن قبول دعوة الرسول ،

وفتنـــة المسلمين عـــن دينهم ، وإلجائهم الى اضيـــق السبل ، والتخذيل عنهم ، وتوهين قواهم .

ودسوا من احبارهم من اظهر اسلامه ، ومـــن استطاع ان يجلس بين المسلمين يظهر غايـــة التقوى ؛ وصاروا بين الحيـــن والحين يبدون الشكوك والريب ، ويلقـــي بعضهم على النبي من الأسئلة مـــا يحسبه يزعزع في انفس المسلميـــن عقيدتهم بـــه ، وبرسالة الحـــق التي يدعو اليها . ولـــم تَخْفَ هذه الامور علـــى المسلمين ، فقد فطنوا لهـــم وعرفوا غايـــة سعيهم . ورأوهم يوما في المسجد يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم ، قد لصـــق بعضهم ببعض ، فأمر النبي باخراجهم مـــن المسجد ، فأخرجوا بعنـــف . ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين . « هيكل »

من هؤلاء الذين تظاهروا باسلامهم من احبار يهود بني قينقاع نفاقا وكيدا للمسلمين : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بـــن حريملة ، ورفاعة بـــن زيد بن التابـــوت ، وسلسلة ابن برهام ، وكنانة بن صوريا .

مَرَّ شاس بن قيس ، وهو من شياطين اليهود ، على نفر من الأوس والخزرج في مجلس مجتمعين مسرورين ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال في نفســـه : اذا بقي هـــؤلاء على هذه المودة والتعاون فما لنـــا معهم من قرار . وأمر فتى شابا مـــن اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يُذكّرهم فيها يـــوم بعاث ، يوم انتصر الأوس فيه على الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكّر القوم ذلك اليوم ، وانشد بعض ما قيل فيه من أشعار . فتنازع الاوس والخزرج ، وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض : ان شئتم عدنا الى مثلها . وبلغ النبي ذلك

الامر ، فخرج اليهم ومعه بعض أصحابه ، فذكّرهم بما ألّف الاسلام بين قلوبهم ، وجعلهم اخوانا متحابين ؛ وما زال بهم حتى بكى القوم ، وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جميعا « ابن هشام » .

وقد بلغ الجدال بين اليهود والمسلمين حدًّا كان يصل احيانا الى الاعتداء بالايدي . والمعروف عن ابي بكر ، رضي الله عنه ، دماثة الخلق وطول الأناة وليـن الطبع ، ومع هـذا فقد استثاره بعض اليهـود حتى ضربه بيده ؛ فقد اجتمع برجل منهـم يقال له فنحاص ، من احبارهم ، وجعل يدعوه الـى الاسلام ، فرد فنحاص بقوله : « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانـا عنه اغنياء ، ومـا هو بغني عنا . ولو كان غنيا مـا استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم » . وفنحاص يشير هنا الى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً » سورة البقرة ٢٤٥ . فلم يطق ابو بكر على هـذا الجواب صبرا ، فغضب وضرب وجـه فنحاص ضربا شديدا ، وقـال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله . وشكا فنحاص أمره الى النبي ، وانكر ما قاله لابي بكر ، فنزل قوله تعالـي : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؛ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَـقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُـوا عَذَابَ الحَرِيـقِ » آل عمران ١٨١ .

لم يكتف اليهود بالوقيعة بين المهاجرين والانصار ، وبين الأوس والخزرج ، ولم يكفهم فتنة المسلمين عن دينهم ، ومحاولة ردهم الى الشرك دون محاولة تهويدهم ، بـل زادوا على ذلك ان حاولـوا فتنة النبي محمد نفسه ، عليه السلام . ذلـك ان عددا من احبارهم ،

وهم كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صورى ، وشاس بن قيس ، اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : « اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر » . فذهبوا اليه وقالوا : « يا محمد ، انك عرفت امرنا ومنزلتنا ، وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، ونريد أن نتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ، فنؤمن بك ونتبعك » . فرفض النبي الكريم عرضهم ، وأبى أن يحكم بينهم الا بالحق اذا تحاكموا اليه . وانزل الله فيهم قوله : « وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَٱحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِم ؛ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

ومن امثلة المكايد التي كانوا يدبرونها ما تحدثنا به كتب السيرة ، ان طائفة من اليهود تذاكروا فيما بينهم لتدبير مكيدة الدخول في الاسلام اول النهار ، والخروج منه آخره ، ليقلّدهم العرب المسلمون في ذلك . فقد اجتمع عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ، وهو من يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما انزل على محمد واصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم ؛ ففضح الله مكيدتهم هذه وانزل فيهم قوله تعالى : « يَا أَهْلَ الكِتَابِ ، لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ : آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلاَ تُؤْمِنُوا

إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ . قُلْ : إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ ، أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ قُلْ : إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » آل عمران ٧١ — ٤٣ .

ولا يتسع المقام لسرد جميع اخبارهم ومكائدهم في تاريخهم مع الرسول الكريم واصحابه ، فانها اخبار طويلة جدا . ومن نظر في امر اليهود اليوم ، وما يثيرونه في العالم من فتن ، وما يختلقونه من اكاذيب ودعاوى باطلة ، ويبكون ويتباكون كذبا وزورا ، وينشرون الفساد في الارض في مختلف انواع الطرق ، والحيل الشيطانية ، حتى لا يكاد الباحثون يجدون مكرا في الارض الا وقد سبق اليهود الى اكتشافه ، ووضعه ضمن قائمة خطط مكرهم ، « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ » ابرهيم ٤٦ . ومن نظر في امرهم يجد انهم هم هم في كل مكان وكل زمان .

٨ — الحرب الفعلية بين النبي الكريم واليهود . شعر اليهود والمنافقون بعد معركة بدر بتزايد قوة المسلمين ، وقامت قيامتهم ، وبدأ بعضهم يرسل الاشعار في التحريض عليهم ، وسلطوا شاعرين من شعرائهم ، هما ابو عفك ، وكعب بن الاشرف .

اما ابو عفك فقد كان شيخا كبيرا يقول الشعر ، فأخذ يسلط لسانه بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والتحريض على قتاله . وقد كان الشعر في العرب اهم وسيلة اعلامية تحرّض على الحرب . فثارت ثائرة احد المؤمنين ، واسمه سالم بن عمير ، فنذر ان يقتله او يموت دونه ، فما زال يتربص به حتى قتله .

واما كعب بن الاشرف فقد كان امره اخطر من ابي عفك ، لما له من جاه ومنزلة عند قومه وعند العرب . فانه لما بلغه خبر

انتصار المسلمين في بدر ، ومقتل صناديد قريش ، قـــال : « أحق هذا ؟ أتـــرون محمدا قتل هؤلاء ؟ فهـــؤلاء اشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القـــوم لَبَطْنُ الارض خير مـــن ظهرها » .

وأخذ يسلـــط لسانه على الرسول والمؤمنين ، وأعلن نقض العهد ، وذهب الى مكة ، وجعـــل يحرض على رسول الله ، وينشد الاشعار ويبكي فيها مـــن قتل في بدر من المشركين ؛ ثم رجع الى المدينة مجَاهـــرا بعداوته ، وجعل يقول الاشعار في نساء المسلمين ، ويشبب بهن حتى كان منه اذى بالغ . فأُحِلّ دمه بما فعل ؛ فانتدب لقتله نفر من الأوس على رأسهم محمد بن مسلمة ، فذهبوا الى حصن كعب واستنزلوه منه وقتلوه . وبمقتل هذين الشاعرين اللذين تصديا للرسول وللتحريض عليه وهجوه ، واعلان عدائهما له ، قطعت ألسنة التحدي ، وانطفأت جذوة الشر . ولكن الرسول الكريم كان دائما متيقظا ، محترسا منهم ، وعلى علـــم بما يمكرون ويكيدون .

وكان لليهود في المدينة وحولها ثلاثـــة معاقل كبيرة ، هي بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وفي شمال المدينة : خيبر ، ووادي القرى ، وفدك ، وتيماء .

بنو قينقاع : بعـــد مقتل كعب بن الاشرف ازدادت مخاوفُ اليهود ، وأضمروا الشر للنبي وللمسلمين . وفي هذه الاثناء قدمت امرأة من العـــرب الى سوق لليهود من بني قينقاع تريد أن تشتري حلية ، وجلست الـــى صائغ منهم ، وكانت محجبـــة ، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها ، ويطلبون منها أن تكشف وجهها ، والمرأة تأبى ذلك ؛ فعمد الصائغ اليهودي الى طرف من ثوبها من خلف

وعقده الى ظهرها وهي جالسة ، دون أن تشعر المراة بما فعل . فلما قامت انكشفت عورتها ؛ فضحكوا منها ، فصاحت ؛ فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وقام جماعة من اليهود وقتلوا المسلم ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فجاء الرسوم الكريم الى سوقهم ، وجمع اليهود ، وطلب اليهم ان يكفوا عن اذى المسلمين ، وان يحفظوا عهد الموادعة او ينزل بهم ما انزل بقريش . فاستخفوا بوعيده وقالوا : « يا محمد ، لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ؛ انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

فأنزل الله تعالى فيهم قوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ؛ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » آل عمران ١٢ — ١٣ (ابن هشام) .

وكان عملهم هذا بمثابة الانذار العلني ، المتضمن استعدادهم لمحاربة الرسول . وعندما سمع الرسول بحادث المراة نبذ عهدهم ، ودعا المسلمين الى قتالهم ؛ فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة . والقى الله في قلوبهم الرعب ، ولم يستطيعوا ان يظهروا لقتال المسلمين . ولما طال عليهم الحصار ، نزلوا على حكم الرسول الكريم والتسليم بقضائه . فتقدم عبد الله بن ابي بن سلول ، رأس المنافقين ، وحليف بني قينقاع ، فقال : يا محمد ، احسن في مواليّ . وما زال يلح الى الرسول حتى اذن بأن يجلوا عن المدينة ،

وان يأخذوا اموالهم واثقالهم وخفيف السلاح . فخرجوا الى الشام ، ونزلوا باذرعات ، واستراح المسلمون منهم .

بنو النضير : هدأت احوال اليهود من بني النضير وبني قريظة ظاهرا بعد اجلاء بني قينقاع ، الا أن بواطنهم ما زالت تجيش بالحقد والعداوة . وحدث ان رجلا من المسلمين اسمه عمرو بن امية الضمري قتل رجلين مشركين من بني عامر ، وهو لا يعلم ان معهما عهدا من الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فقام الرسول بجمع ديتهما ، وذهب الى بني النضير مع عدد من اصحابه . وجلس معهم يكلمهم في ذلك ، فأظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لاجابته . ولكنهم ابطأوا ، واحس ان هناك مؤامرة تدبر . وفعلا كان هناك مؤامرة لقتل الرسول الكريم ؛ فقد دخل احد رجالهم ، واسمه عمر بن جحاش بن كعب ، البيت الذي كان محمد مستندا الى جداره ، ليلقي عليه-صخرة يقتله بها ، وفي تلك اللحظة انسحب النبي عليه الصلاة والسلام من مكانه ، تاركا اصحابه وراءه وهم يظنون انه قام لبعض حاجته ، ومضى الى المدينة . فلما طال انتظار اصحابه ، قاموا في طلبه ، واخبرهم احد المسلمين انه رآه يدخل المدينة ، فلحقوا به ، فأخبرهم ان اليهود كانوا يدبرون مكيدة لقتله . ودعا محمد بن سلمة ، من اصحابه ، وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم : ان رسول الله ارسلني اليكم ان اخرجوا من بلده ، فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم من الغدر به ، وقد أجلتهم عشرة ايام ، فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه » « امتاع الاسماع وابن هشام » . وفي ذلك نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » المائدة ١١ .

ومكث اليهود أياما يتجهزون ، فأرسل اليهم عبد الله بن أبي ، راس المنافقين ، بأن لا يخرجوا من ديارهـــم ، وانه سيمنعهم ويحارب معهم ؛ فدخلوا حصونهم وامتنعوا . وانقضت الايـــام العشرة ولم يخرجـــــوا .

خرج اليهم رسول اللـــه ومعه أصحابه ، وحاصرهم عشرين ليلة ، وهم يرمون المسلمين بالنبـــل من فوق الجدران . ولم يأت عبد الله بن أبي ؛ فلما يئسوا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام أن يؤمّنهم علـــى أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ؛ فأمنهم على أن لهم مـــا حملت الابل من المـــال والطعـــام ، وعلى أن يتركوا الاسلحة . فخرجوا بنسائهم وذراريهم علـــى الابل ، واجتازوا سوق المدينـــة والنساء وسط الهوادج يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير ، وعلى رأسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن ابي الحقيق ، في نحو ستمائة بعـــير . وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن ، وذهبوا الـــى خيبر وبعضهم الى الشام .

وفي بني النضير نزلت سورة الحشر : « هُوَ الَّـــذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّـــهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْـــبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ ؛ فَاعْتَبِرُوا يَـــا أُولِي الأَبْصَارِ » .

ثم تمضي السورة تتحدث عن المنافقين وكذبهم ، فيقول تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ؛ وَاللَّـــهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛ لَئِـــنْ أُخْرِجُوا لا

يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُم لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ » الحشر ١١ ــ ١٢ . وتركوا وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من غلال وسلاح وارض واسعة . وكان نصر الله عظيما . وفي ذلك يقول تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ » الحشر ٧ . وفي اجلاء بني النضير ذهب شر كبير . يقول محمد حسين هيكل : « ليس من العسير أن يقدر الانسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بني النضير عن المدينة ، لما كان يخلفه بقاؤهم من تشجيع عوامل الفتنة ، ومن دعوة المنافقين الى أن يرفعوا رؤوسهم كلما اصاب المسلمين شر ، ومن التهديد بالحرب الاهلية اذا غزا المسلمين غاز من الاعداء » .

بنو قريظة : كانت مؤامرة بني قريظة ونقضهم للعهد من اخطر المؤامرات ، لانها جاءت في وقت من أحرج الاوقات على المسلمين . فقد خرج نفر من بني النضير ، على رأسهم حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن ابي الحقيق ، ومعهم من بني وائل هوذة بن قيس ، وأبو عمار ، وغيرهم ، وذهبوا الى مكة ، وألّبوا قريشا ، وحرّضوهم على قتال محمد واصحابه ، وقالوا لهم انهم مستعدون أن يأتوا من خيبر ليقاتلوا معهم ، وان بني قريظة اقاموا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم . وتحاوروا معهم طويلا ، وسألهم كبار قريش فقالوا لهم : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الأول ، واهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ؛ أفديننا خير أم دينه ؟ فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ،

وانتم اولى بالحق منـــه . والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالـــى : « أَلَمْ تَرَ إِلَـــى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبـــاً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ الَّذِيـــنَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَـــنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » سورة النساء ٥١ ــ ٥٢ .

وفي موقف اليهود هذا من قريش ، وتفضيلهم وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، يقـــول الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابـــه « تاريخ اليهود في بـــلاد العرب » : « كان من واجـــب هؤلاء ان لا يتورطوا في مثل هـــذا الخطأ الفاحش ، وان لا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيـــد الاسلامي ، ولو ادى بهـــم الامر الى عدم اجابة مطالبهم . . . الى ان يقول : كان من واجبهم ان يضحّـــوا بحياتهم ، وكـــل عزيز لديهم في سبيـــل ان يخذلـــوا المشركين ؛ هـــذا فضلا عن انهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انمـــا كانوا يحاربون انفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنـــام ، وبالوقوف منهم موقف الخصومة » .

ولم يكتف حيي بن اخطب واليهود الذين معـــه بهذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، صلى اللـــه عليه وسلم ، بـــل خرجوا يحرضون قبائل العرب ، حتى التفوا حول أبي سفيان ، وخرج بنحـــو عشرة آلاف مقاتـــل قاصدا المدينة فـــي غـــزوة الخنـــدق .

وذهب حيي بن اخطب الى بني قريظة ، يريد رئيسها وقائدها كعب ابن اسد ، الـــذي امتنع عن مقابلته في اول الامر ؛ ولكن حيي بن اخطب ألح عليـــه ، وما زال بـــه حتى فتح له باب الحصـــن ،

ثم قال لـــه : « ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه » .

وتردد كعب ، وذكـــر وفاء محمد وصدقه لعهده ، وخشى مغبة مـــا يدعوه حيي اليـــه ؛ ولكن حُيياً ما زال بـــه ، يذكر لـــه ما أصاب اليهود من محمد ، ومـــا يوشك أن يصيبهم منـــه اذا لم تنجح الاحزاب في القضاء عليه ، ويصف له قوة الاحزاب وعدتها وعددها ، وعلـــى رأسها ابـــو سفيان . وما زال بـــه حتى لان كعب ووافقه ، ونقض عهده مع الرسول الكريـــم والمسلمين ، وخرج من حياده . واجتمعت جيوش الأحزاب حـــول الخندق محاصرين المدينة ، واشتد الامـــر على المسلمين، وضاقت عليهم الدنيا بمـــا رحبت ؛ ودام الحصار نحو عشرين ليلة ، وتخلّفت اليهود من بني قريظة ولم تحارب . واشتد الامر على المحاصرين ، وهبت عواصف ، فقلبت القدور وقوّضت الخيام ، وهطل المطر غزيرا ، ودخل الرعب قلوب المشركين ؛ فقام طليحة بن خويلد الاسدي فنادى : ان محمدا قد بدأكم بشر ، فالنجـــاة النجاة ! وقال ابو سفيان : يـــا معشر قريش ، انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منها ما نكره، ولقينا من شـــدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل. وأصبح الصبح ولم يجد النبي منهم احدا ، « وَكَفَى اللَّـــهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » الاحزاب ٢٥ . وفي هذا الموقف يقول اللـــه تعالى في سورة الاحزاب : « يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُـــودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّـــهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الحَنَاجِرَ . وَتَظُنُّونَ بِاللَّـهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

وعاد رسول الله والمؤمنون الى المدينة ، ومنها امر الرسول الكريم المؤمنين أن يذهبوا الى بني قريظة . وحاصروا بني قريظة مدة خمسة وعشرين يوما ، لم تقع خلالها حرب الا بعض تراشق بالنبل والحجارة . ولما طال عليهم الحصار بعثوا يطلبون من النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أن يتركهم يخرجون الى اذرعات ، على ان لا يأخذوا معهم شيئا ؛ فأبى ذلك الا ان ينزلوا على الحكم ، فقبلوا حكم سعد بن معاذ ، رئيس الأوس وحليفهم ؛ فحكم سعد فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم . ونفذ فيهم الحكم . (سيرة ابن هشام) .

وبذهاب الاحزاب ، والقضاء على بني قريظة ، صفا جو المدينة من اليهود ، وخفت صوت المنافقين ، وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم .

خيبر : كانت غزوة خيبر اخر صدام بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واليهود . وتقع خيبر في شمال الحجاز ، وهي على طريق الشام . واليهود لا يؤمن جانبهم ولا ينفع معهم عهد ولا صلح ؛ وقد خشي الرسول الكريم أن يجمع اليهود بعضهم بعضا ، ويصلهم مدد من هرقل ، ويقوموا بهجوم مباغت على المدينة . فعزم على غزوهم والخلاص منهم .

أمر رسول الله الناس بالتجهّز لغزو خيبر ، ومضى ومعه الف وستمائة مقاتل ، منهم مائة فارس ؛ وقطعوا مراحل الطريق

ما بين خيبـــر والمدينة في ثلاثة ايام ، وباتوا امام حصونها . واصبح الصباح ، وغدا عمـــال خيبر خارجين الى مزارعهم ، ومعهم مساحيهم وآلات الزراعة . فلما راوا جيش المسلمين ، ولّوا الأدبار يتصايحون قائليـــن : هذا محمد والجيش معـــه . وقال الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، لما سمع قولهم : « خربت خيبر . انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وكان في خيبر احد عشر حصنا ، وكان اليهود فيهـــا مسلّحين ، وهم اشداء مقاتلون اغنياء ، والسلاح عندهم كثـــير . ودارت الحرب بين المسلمين واليهود ، وقاتلوا قتالا شديدا (١) ، وبدأت حصونهم تنهار امام هجمات المسلمين الواحد تلو الآخر ، حتى فتحوها كلها ؛ واستسلم اليهود ، وصالحهم الرسول على ان يبقوا في ارضهم يستغلونها ويكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم ، والنصف الثاني للرسول يضعه حيث يشاء .

وكان من احسان النبي الكريم معاملة اليهود في خيبر انه كان من بين مـــا غنم المسلمون ، حين غزوها ، بعض نسخ من التوراة ؛ فطلب اليهود ردّها ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بردّها اليهم . « محمد حسين هيكل » .

لقد عامل النبي يهود خيبر معاملة حسنة ، مـــع انهم حاربوه حربا شديدة لأمرين : الاول ان خيبر ارضها واسعة ، وهي غنية بالحدائق والمزارع والنخيل ؛ وهذا كلـــه يحتاج الى الايدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام علـــى زراعته .

والثاني : بسقوط خيبر انتهى بأس اليهود ، ولـــم يعد منهم اي خطر على المدينة ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ابدا .

---

(١) دامت الحرب بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام ستة اسابيع .

وبعد ذلك أذعن أهـــل فدك من اليهود ، فصالحوا الرسول على نصف أموالهم من غـــير قتال ، وكذلك يهـــود وادي القرى . وأما يهود تيماء ، فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال . وبذلك دانت اليهود كلهـــا لسلطان النبي ، صلى الله عليـــه وسلم ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في شبه الجزيرة العربية ؛ وأصبح النبي وأصحابه في مأمن من الشمال ، من ناحية الشام ، كمـــا صار من قبل في صلح الحديبية بمأمن من ناحيـــة الجنوب .

وهكذا أمن رسول اللـــه وأصحابه شر قريش واليهود ، وتفرغ لنشر رسالته الخالدة للعالم أجمـــع ، وأرسل رسله الى الملوك : هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، والى النجاشي بالحبشة يدعوهم الى الاسلام . وما مضى ثلاثون عاما على ارسال تلك الرسائل حتى أصبحت تلك البلاد في قبضة الاسلام ، ودان اكثرها بالاسلام ؛ ذلك الدين القيم ، الذي يجمع بين الروح والمـــادة ، دين الكمال ، دين الله جـــل شأنه ، الذي يحرر العقول لترى ، والقلوب لتبصر ، والذي يضع للانسان في حياة العقيدة ، كما يضع له في نظام الجماعة ، قواعد عامـــة توازي بين سلطان الروح وقوة المادة ، لتبلغ بالانسان الى غاية الكمـــال ، ولتبلغ بالجماعة الانسانية ، بفضـــل ذلك النظام ، الى خير مكان أعد لها بين كائنات الوجود .

لقد كان الاسلام دائما أغنى ما يكون في الجوهـــر ، وأبعد ما يكون عن فخامة المظهر ؛ وقد جاء الـــى هذا العالم فأحدث أكبر انقلاب خلقي ، وأعظم ثورة على الوثنية والظلـــم والفساد ، وأضخم حضارة مثالية انتشرت في مشارق الارض ومغاربها في اقـــل من مائة عام ، فغيّرت التاريخ في زمن يكاد يكون مجرد لحظـــة من صفحات التاريخ الطويل ، أذهل المؤرخين ، وحير المفكرين .

المراجـــــع

١ ــ القرآن الكريم وعـدد من التفاسير .

٢ ــ التاج الجامع للأصول « الكتب الستة » ، الشيخ منصور علـــي ناصـــف .

٣ ــ سيرة ابن هشام .

٤ ــ شرح سيرة ابـــن هشام للسهيلي .

٥ ــ امتاع الاسمـــاع للمقريزي .

٦ ــ تاريـــخ الطبـــري .

٧ ــ تاريخ ابـــن كثير .

٨ ــ حياة محمد ، محمد حسين هيكل .

٩ ــ الرسالة الخالدة ، عبد الرحمن عزام .

١٠ــ العرب واليهود ، الدكتور أحمد سوسة .

١١ــ التاريخ اليهودي العام ، صابر طعمة .

١٢ــ اليهود بين الدين والتاريخ ، صابر طعمة .

١٣ــ اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، زكي شنوده .

١٤ــ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزه .

١٥ــ سيرة الرسول ، صورة مقتبسة من القرآن ، محمد عـــزة دروزه .

١٦ــ عصـــر النبـــي ، محمد عزة دروزه .

١٧ــ خاتم النبيين ، الشيخ محمد أبو زهرة .

١٨ــ اليهود في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة .

١٩ــ اليهود في شبه الجزيرة العربية ، الدكتور محمد رشيد العقيلـــــي .

٢٠ــ مكايد يهوديـــة عبر التاريخ ، عبـــد الرحمن حسن حبنّكة الميداني .

٢١ــ المفسدون في الأرض ، ناجـــي .

٢٢ــ تاريخ اليهود في بلاد العرب ، اسرائيل ولفنستون .